مجلة "منبر التراث الأثري"
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

المجلد: 12؛ العدد: 01؛ 2023
ص 11–42

المظاهر المروية جنوب الخرطوم: نفوذ سياسي أم مظهر للانتشار الثقافي.

Meroitic aspects in the south of Khertoum: political influence or manifestation of cultural diffusion.

عمار عوض محمد عبد الله، مرشح دكتوراه، قسم الآثار، جامعة الخرطوم (السودان)
ammarawad22@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2022 /07/07 **تاريخ القبول:** 2023/04/15 **تاريخ النشر:** 2023/04/30

ملخص:

في الوقت الراهن، تسمح الاكتشافات الأثرية جنوب وسط السودان، بتعزيز القدرة على تحديد مدى انتشار مظاهر الثقافة المادية العائدة لفترة الحضارة المروية (350 ق.م–350م)، بعيداً عن مجال التأثير السياسي للمملكة ولأول مرة في بحث واحد. تهدف هذه الورقة إلى وضع مواقع الفترة المروية على النيل الأبيض جنوب الخرطوم، في داخل السياق الثقافي للفترة المروية؛ وذلك عبر تقييمها من حيث المعثورات، والتوزيع الجغرافي، وظروف الاكتشاف، ومراجعة التقارير الميدانية، ومن ثم اقتراح الوضع الأنسب لسير البحوث الأثرية المروية بالإقليم في المستقبل. كما تسلط الضوء على طبيعة مجتمعات التخوم الجنوبية، وكيفية تفاعلها مع المملكة المرَّوية. وتخلص إلى أن الافتقار إلى المنشآت المروية المدنية، والسياسية، والدينية في هذه الأماكن، وبنفس القدر الذي تؤشر فيه على ضعف السيطرة السياسية المروية، قد يؤشر أيضاً على تمثيل السلطة السياسية بآليات مختلفة؛ حيث تشير دلائل الصيد وجمع الثمار إلى علاقات التبادل التي ربما نشأت بين الريف والمراكز الحضرية بالمملكة؛ بناءً على حاجة الأخيرة للعاج والخشب والحيوانات والجلود، مقابل منتجات مروية متواترة الانتشار بالمنطقة مثل: التمائم، والتحف الذهبية، ورؤوس السهام، والفخار.

كلمات مفتاحية: مملكة مروي؛ الانتشار الثقافي؛ جنوب الخرطوم؛ منطقة النيل الأبيض؛ الدِروة.

Abstract :

Currently, the Archaeological discoveries south of Khartoum in the south-central Sudan are enhancing our ability to determine the spread of items originating from the Meroitic state 2000 years ago, beyond the political borders of the state. For the first time in a full-length paper, this research aims to increase our understanding of archaeological sites dating to this period along the very poorly understood White region. The conditions of the sites are outlined, archival research undertaken through interrogating the original excavation notes and records were re-examined, and the importance of future research is highlighted. The results shed new light on understanding the features of the communities living to the south of the state as well as how they interacted with the Meroitic state. It is concluded that the lack of civil, political and religious Meroitic constructions is indicative of a lack of political control over the White Nile where the archaeological evidence indicates fisher-hunting activities predominated. However, there were commercial relations between these rural areas and the Meroitic Settlements based on the latter's need for ivory, wood, animals, slaves and perishable items such as leather, and on the presence of Meroitic products such as amulets, gold ornaments, iron arrowheads and pottery.

Keywords: Meroitic state; cultural dissemination; south of Khertoum; White Nile region; session.

مقدمة:

شهدت منطقة النيل الأبيض جنوب الخرطوم، وعلى مدى نحو مائة عام ماضية، مسوحاً وحفريات أثرية "محدودة". تمخض عنها مظاهر متنوعة للثقافة المادية، المؤرخة إلى الفترة المروية؛ كالفخار، والتحف الذهبية والبرونزية، والخرز، ورؤوس السهام والحراب، وأختام الرمي، والدُمى الطينية، والتعاويذ...الخ في حين لم يتم العثور على أدلة المنشآت المعمارية الكبيرة الدالة على وجود السيطرة السياسة المروية مثل المعابد، والقصور، والمرافق الإدارية...الخ

ومع أن الشريط السهلي المنبسط، والمحاذي لمجرى النيل الأبيض جنوب الخرطوم، تقريباً لما يربو عن حوالي (400)كلم، من جبل أولياء شمالاً وحتى كوستي جنوباً، قد شهد الاكتشافات الأثرية ذات الصبغة المروية مثل القطينة، وجبل تومات، وربك، وكوستي...الخ إلا أن معظمها قد جاء ضمن أبحاث إما ذات طابع إنقاذي، أو أبحاث أثرية موجهة لدراسة فترات ما قبل التاريخ. بحيث يفتقر الوضع المرجعي اليوم إلى أجوبة واضحة، حول أسباب وجود مظاهر الثقافة المروية بالمنطقة، أو ما إذا كانت هذه المظاهر ذات أهمية، في إلقاء المزيد من الضوء، حول مسألة الامتداد الجنوبي للمملكة المروي.

يهدف هذا المقال إلى إلقاء نظرة جديدة على طبيعة المعلومات المتوافرة، من مُجمل أعمال المسح والحفريات الأثرية المحدودة، والتي جرت بالمنطقة في أزمان مختلفة؛ في كل من منطقة كوستي، وربك، وجبل تومات، والكوة، وود المجذوب، والدروة، ودمجها مع المعلومات الحديثة والمؤكدة معملياً، من حفريات أوساي سالفاتوري (Usai & Salvatori) في موقع الكدي، على الضفة الغربية جنوب أم درمان بغرض الاستفهام عمّا إذا كانت السيطرة المروية قد امتدت فعلياً حتى منطقة النيل الأبيض أم لا. وذلك عبر تقييم البيانات المتاحة من حيث المعثورات، والتوزيع الجغرافي، وظروف الاكتشاف، ومراجعه التقارير الميدانية، ومن ثم اقتراح الوضع الأنسب لسير البحوث الأثرية المروية بالإقليم في المستقبل. كما تسلط الضوء على طبيعة مجتمعات التخوم الجنوبية، وكيفية تفاعلها مع المملكة المرّوية. وتخلص إلى أن الافتقار إلى المنشآت المروية المدنية، والسياسية، والدينية في هذه الأماكن، وبنفس القدر الذي تؤشر فيه على ضعف السيطرة السياسية المروية، قد يؤشر أيضاً على تمثيل السلطة السياسية بآليات مختلفة؛ حيث تشير دلائل الصيد وجمع الثمار إلى علاقات التبادل التي ربما نشأت بين الريف والمراكز الحضرية بالمملكة؛ بناءً على حاجة الأخيرة للعاج



مجلة "منبر التراث الأثري"
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

والخشب والحيوانات والجلود، مقابل منتجات مروية متواترة الانتشار بالمنطقة مثل: التمائم، والتحف الذهبية، ورؤوس السهام والحراب الحديدية، والفخار.

1.. الانتشار الثقافي:

يعني الانتشار الثقافي (Diffusion) انتقال أدوات أو تطبيقات أو أفكار معينة، من مجتمع إلى آخر، عن طريق التجارة، أو الاتصال المنظم، أو العرضي[1] ويعني أيضاً حركة لعنصر ثقافي من مكانه الأصلي إلى أماكن أخرى. أو هو عملية يتم بواسطتها تحريك الصفات الثقافية منفصلة من مجتمع إلى آخر، عن طريق الهجرة، أو التجارة، أو الحرب، أو أياً من طرق الاتصال الأُخرى. وقد برز هذا الفكر في منتصف القرن الثامن العشر الميلادي، كمحاولة لفهم طبيعة الثقافة، ومنشأ الصفات الثقافية وحركتها. وتنضوي مبادئه على تسليم بأن جميع الثقافات نشأت من مركز ثقافي واحد، أو عدد محدود من المراكز، ثم أخذت في الانتشار التدريجي من مواضع القوة إلى مواضع الضعف، ومن المراكز إلى الأطراف[2].

وقد تطور الفكر الانتشاري من خلال مدارس عدة، وإن اختلفت في نظرتها لطرق انتقال السمات الثقافية عبر المكان، إلا أنها اتفقت من حيث المبدأ على هذه الحركة، وفقاً لظروف بيئية وتاريخية تتحكم في عملية انتشار الثقافة. ومن أشهر هذه المدارس؛ المدرسة الأمريكية، التي بدأت في الأول مع إسهامات بيركلي (Berkeley)[3]. بينما يعتبر فرانز بواس (Boas) رائدها الفعلي؛ وقد نظر بواس إلى الصفات الثقافية باعتبارها عمليات تاريخية فريدة، تبدأ بظهور السمة الثقافية، التي تتراكم حتى يصبح مصدرها

---

[1] كلاكهون كلايد، الإنسان في المرآة، ترجمة شاكر مصطفى سليم، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد – نيويورك، 1949م.

[2] Goldstein, M. & Meghan, G. 2014. Diffusionism and Acculturation, University of Alabama, Department of Anthropology, [Online]:
http://anthropology.ua.edu/check/2/.Date15/3/2014.11:54 AM+

[3] Hugill, J. 1996. Diffusion, In Encyclopaedia of Cultural Anthropology, edited by David Levinson & Melvin Ember, pp.344-45.



غامض نتيجة التحوير[1] . وهنالك أيضاً أصحاب المدرسة الإنجليزية "المتطرفة" أمثال: إليوت سميث (Smith)، ووليام بيري (Perry)، وريفرز (Rivers) الذين ادعوا بأن مصر وحدها هي المنشأ الحقيقي للثقافة الإنسانية، ومنها انتشرت الثقافة إلى أجزاء أخرى بالعالم، ويتسم هذا الاتجاه بالتطرف وبنزعة مركزية مصرية[2]، وقد كان لفلسفاتهم تأثيراً سالباً على تطور علم الآثار السودانية، إذ فسّر رواده الحضارات السودانية القديمة اعتمادا على التطورات الحضارية في مصر، كما نظروا إلى حضارة السودان القديم باعتبارها شكل من أشكال التطور الحضاري المنحرف عن مساره، المتردي تقنياً وفنياً نتيجة لانتشاره خارج أطره المبتكرة في مصر. وهنالك أيضاً المدرسة الألمانية النمساوية بزعامة جرايبنر، وتُبَيِّن وجود ثمانية نماذج ثقافية أصلية في العالم، وذات طابع منسجم ومستقل[3] .

وفقا لمبدأ الانتشار الثقافي؛ تتحرك الثقافة وكذا عناصرها وسماتها في ظل ظروفٍ معينةٍ، أولها الحوجة للسمات/ العناصر الثقافية، وترتبط الحوجة بعاملين هما: الثقافة المصدِّرة والثقافة المتلقية؛ فالمتلقِّي يحتاج إلى عناصر أو سمات مفقودة في دائرته، بينما الضرورة قد تسوق الثقافة المصدِّرة إلى نشر سماتها الثقافية، لأسباب ترتبط بوضعها الداخلي؛ كقدراتها التقنية، ونفوذها الديني، وقوتها الاقتصادية، وطاقاتها الفكرية...الخ أما الظرف الثاني فهو القبول بالسمات المنتشرة، وهنالك ظرف ثالث هو المواكبة، وآخر رابع هو الإنسان الصانع للثقافة، وهو المستخدم والناقل لها عبر المكان.

وهنالك ثلاث طرق لعملية الانتشار الثقافي، تتمحور جميعها في الاتصال المباشر بين الجماعات البشرية عن طريق أحد الحالات التالية: الحالة الأولى وهي التجارة؛ حيث تتحرك المجموعات البشرية عبر المكان ناقله أفكارها ومعتقداتها وخبراتها التقنية أينما حلت، لذا فأن التجارة من أهم العوامل التي ساعدت في نشر الأفكار بالعالم القديم، وفي نقل أنواع مختلفة من المعارف التقنية من وإلى ثقافات بشرية مختلفة ومتباعدة عن بعضها البعض. وكان للتجارة دوراً مهماً في نشر الثقافات العالم القديم الوافدة إلى

[1] Elvin, H. 1997. Theories of Man and Culture, New York & London, Colombia University Press, pp. 65 –57, [Online]: Googl books.com.23/3/2014-5:46.

[2] Fagan, B. 1985. In the Beginning, an Introduction to Archaeology, Sixth edn, pp.60-62.

[3] Goldstein, M. & Meghan, G. 2014. Op.cit.



مجلة "منبر التراث الأثري"
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

السودان، حيث كانت مملكتا نبتا ومروي ذات صلات تجارية نشطة مع حضارات مدن الأبيض المتوسط، وكذلك حضارات الشرق الأدنى عبر مصر. ومن خلال الأنشطة التجارية تميزت الفترة المروية، ما بين القرنين الأول والثاني الميلاديين بوفره في مظاهر السلع والمنتجات القادمة من هذه الحضارات، وكانت تتمثل في: المرايا، والأواني البرونزية، والتماثيل اليدوية، والقلائد، ورؤوس السهام، ومقابض الأسلحة، والسكاكين والخناجر، والخزف...الخ أمّا الحالة الثانية فهي الهجرة، التي تعد أحد طرق الانتشار الثقافي، من خلال حركة الأفراد والجماعات، من مكان إلى آخر وهم يحملون ثقافاتهم، ومن خلال الاحتكاك فيما بين المجموعات البشرية الوافدة والمهاجرة يتم تبادل الخبرات فتنتشر السمات الثقافية. وأخيراً الحالة الثالثة وهي الحرب التي تقود إلى هيمنة المنتصر عسكرياً واقتصاديا ودينياً، وبالتالي، فإن هذه الهيمنة تساعده في نشر وترسيخ القيم التي يحملها، كما أن سيطرته الاقتصادية وتحكمه في الإنتاج تمكنانه من نشر تقنياته الخاصة، مثل الأسلحة، والأدوات المنزلية، والملابس، وأدوات الإنتاج.

1.1.. الانتشار الثقافي المروي:

ظهرت مروي في الفترة بين القرن الرابع ق.م والقرن الثالث الميلادي، عبر عدة مراكز سياسية معلومة، امتدت شمالاً حتى المحرَّقة[1]، وجنوباً حتى ود بانقا[2]، وشرقاً في أجزاء واسعة من البطانة. بينما تواجدت آثارها "وبدرجة بتركيز أقل" في أماكن أخرى أبعد جنوب الخرطوم، وصلت حتى جبل مويا جنوب سنار[3].

وبشكل عام، ينظر للآثار المروية المكتشفة جنوب الخرطوم، في ضوء التأثير الثقافي بين المركز المروي وتخومه؛ نسبة لغياب الشواهد الأثرية الدالة على السيطرة المروية المباشرة، والتي يستدل عليها بوجود المدن المخططة داخلياً والمسورة، والتي تشتمل على المرافق الإدراية، والدينية، والتجارية، كما هو الحال في منطقة

[1] Adams, W. 1977. Op.cit, p.329.

2 Pavel, O. 2014 Wad Ben Naga: a history of the site, Sudan & Nubia 18, p.89.

3 Brass, M. & Schwenniger, J. 2013. 'Jebel Moya (Sudan): new dates from a mortuary complex at the southern Meroitic frontier', Azania 48(4), p.251.

شندي، والبطانة، ودنقلا، والنوبة والسفلي[1]. وقد كان لوجود مجاري الأنهار دوراً حاسماً في اختراق مروي لهذه التخوم، وربما في نشاط حركة تبادل تجاري نهري، عززت بدورها من إمكانية انتشار الثقافة المروية. وتعتبر المنطقة المحاذية لمجرى النيل الأبيض جنوب الخرطوم نموذجا حياً لهذه العملية.

2.. منطقة الدراسة:

تقع منطقة النيل الأبيض من الناحية الجغرافية بين دائرتي عرض37 58 13° شمالاً و14 29 15° جنوباً، وبين خطي طول 54 38 31° شرقاً و53 50 32° غرباً. في جنوب وسط السودان بينما يمثل الإقليم حالياً الجزء الجنوبي من السودان. وتعتبر مدينة كوستي مركز الثقل الاقتصادي ومدينة ربك العاصمة الإدارية للإقليم؛ الذي تُقدّر أبعاده بحوالي (500)كلم مربع من الشمال إلى الجنوب، وحوالي (170)كلم من الشرق إلى الغرب. وقد اشتق اسم الإقليم من ظاهرة "النيل الأبيض"، المعلم الطبوغرافي الرئيس للسودان، والذي يقسم منطقة النيل الأبيض، إلى قسمين رئيسين[2]؛ الضفة الشرقية التي تتصل بالجزيرة، والضفة الغربية التي تتصل بكردفان (الخريطة رقم 01).

تتعايش في المنطقة في الوقت الحالي، خليط من المجموعات العرقية، التي تختلف في درجة كثافتها من مكان لآخر، كما تختلف في مرتكزاتها الاقتصادية، بين الزراعة الموسمية والدائمة، والرعي، وصيد الأسماك، والتجارة، والعديد من الحرف اليدوية. وقد أدى ارتفاع معدلات النمو السكاني في الآونة الأخيرة، إلى الزيادة في إنتاج المحاصيل الغذائية؛ من خلال استخدام الري الصناعي والتوسع في استغلال الأراضي؛ وكان لكل ذلك تأثير سلبي على البيئة، والمشاهد الطبيعية، والسياحية، وفوق كل ذلك تأثيره السلبي على المواقع الأثرية، سيما مواقع الفترة المروية، المتضرر الأكبر في خضم ذلك التوسع التنموي، الذي يتسارع في وتيرته بشكل ملحوظ؛ حيث لم تحظى الفترة المروية بفرصة المسح الأثري الموجه لمعرفة التوزيع العام لمواقعها بالمنطقة.

[1] على سبيل المثال راجع: Adams, W. 1977; Welsby, D.1996

[2] Obeid, M. Bari, E., Wickens, G. & Williams, M. 1982. The vegetation of the Central Sudan, In A land between two Niles: Quaternary geology and biology of the Central Sudan, edited by Williams, M. & Adamson, D. p.153-64.

المجلد: 12؛ العدد: 01؛ 2023
ص 11–42

مجلة "منبر التراث الأثري"
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

خريطة 01

منطقة النيل الأبيض.



1.2.. التكوين الجيومورفولوجي والمناخ:

وفقًا لأندرو (Andrew)، ينقسم السودان إلى ست وحدات جيولوجية رئيسية[1]، وتتداخل منطقة النيل الأبيض تقريباً مع حوالي ثلاث من هذه الوحدات وهي: الوحدة الأولى؛ وتتكون من الرمال والحصى السطحي؛ الذي يسود، وبشكل خاص في الجزء الشمالي من الضفة الغربية للنيل الأبيض. وتعتبر هذه الوحدة غطاءً صغيراً بالمنطقة، ويتألف من تكوينات رسوبية منقولة بواسطة الرياح وتعتبر ذات أصل حديث، ولكنها لا تزال تتشكل إلى اليوم. أيضاً يوجد حزام رملي قديم طويل وضيق، معروف باسم قوز

[1] Andrew, T. (ed) 1948. The geology of the Sudan. In Agriculture in the Sudan. London, Oxford University Press, p.95.

أبو دلو، ويمتد بغرب النيل من مدينة كوستي وحتى تندلتي حوالي (93)كلم، كما يتفاعل هذا الحزام مع تصريف النيل[1].

إجمالاً؛ يعتبر القوز أو الدبة "الكثيب العالي من الرمل"؛ الظاهرة الطبوغرافية الأهم في هذه المنطقة، نسبة لارتباطيها بالبقايا الأثرية؛ باعتبارها الأماكن المثلى للسُكنى وكذلك للدفن، تفادياً لمياه الفيضان والسيول والأمطار، التي تتناوب من وقت لآخر على هذا الحوض السهلي المنخفض.

تتألف الوحدة الثانية من الطمي الطيني بالضفة الشرقية من النيل؛ والتي تسود سهل الجزيرة، وتشكّل جزءًا من الطبقات العليا لما يعرف بتكوين أم روابة إلى الجنوب. كما يتشابه الطمي والطين في تكوينات الجزيرة مع تكوين أم روابة في الغرب[2]. بشكل عام يتميز هذا السطح بفقره الشديد لبقايا المخلفات الأثرية نسبة لطبيعته المنخفضة.

في حين تتألف الوحدة الثالثة من صخور الأساس المكونة من صخور متحولة وبركانية[3]. وتظهر عبر نتوءات صخرية بارزه في أماكن متفرقة في جنوب وشمال المنطقة.

أيضاً يتميز إقليم النيل الأبيض بثلاثة فصول رئيسية وهي: الشتاء الدافئ من شهر أكتوبر إلى فبراير، والصيف الحار الجاف من شهر مارس إلى يونيو، والصيف الممطر الحار من يوليو إلى سبتمبر[4]، وقد أثر هذا المناخ على تشكيل الحياة النباتية؛ وذلك وفقاً لمعدلات هطول الأمطار ونوعية التربة، وعوامل حيوية

1 Vail, J. 1982. Geology of the central Sudan, in A land between two Niles: Quaternary geology and biology of the Central Sudan, edited by Williams, M. and Adamson, D., Rotterdam: A.A. Balkema, pp 51-63.

2 Edwards, D.1989. ‘Archaeology and Settlement in upper Nubia in the 1st millennium A.D’, Oxford: Cambridge monographs in African Archaeology 36, BAR International Series, (537), p.40.

3 Vail, J. 1982. Op.cit, p.58.

4 Elhaj, M., Csaplovics, E., Abdelkareem, O., Adam, H., Khalifa, A., Ibrahim, K. & Eltahir, M. 2017.‘Land use land cover changes detection in White Nile State, Sudan using remote sensing and GIS techniques’, International Journal of Environmental Monitoring and Protection 4(3), p.14.



مجلة "منبر التراث الأثري"
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

أخرى مثل الرعي، وقطع الأشجار وحرق الحشائش والزراعة[1]. أيضاً أثرت الظروف المناخية بصورة سالبة على استدامة المواقع الأثرية، نتيجة لعوامل التعرية المتناوبة موسمياً على هذه المواقع كالأمطار والسيول. وقد ألغت كل تلك الظروف الطبيعية بظلالها على كثافة ونوعية المواقع الاثرية بالمنطقة عموماً.

يتألف الغطاء النباتي على طول الجزء الشمالي للإقليم، تقريباً بين الخرطوم والدويم، من نباتات شبه الصحراء والمراعي، ومزيج من النباتات العشبية. في حين يعرض باقي سهل الجزيرة ثلاث وحدات نباتية رئيسية فيما يتعلق بهطول الأمطار وهي: أعشاب شبه الصحراء، والمراعي شبه الصحراوية على الطين، وحزام الأشجار السنطية الذي يقع جنوب الخط الذي يضم تقرع وود مدني، ويمتد جنوباً في خط افتراضي، يربط كوستي على النيل الأبيض، وجبل مويا في الوسط وسنار على طول النيل الأزرق[2].

3.. الكشوف الأثرية السابقة:

هناك عدة أسباب محتملة لعدم رؤية سهل الجزيرة والنيل الأبيض لأعمال أثرية منهجية متصلة بطبيعة العلاقات المفترضة بين مروي بهذه المناطق، باستثناء مواضع محدودة في الكِدَي وجبل مويا وربك؛ فمعلوم أن هذه المواقع الثلاثة السابقة قد حظيت بدراسات أثرية تفصيلية تضمنت تواريخ الكربون المشع (C14). أمّا أول هذه الأسباب فهو التأثير المستمر لعلم المصريات وعلم الآثار الإنقاذي اللذان حظيا بأولوية من حيث التطبيق الميداني؛ حيث كان التركيز الأكثر على المظاهر الأثرية الشاخصة للعيان. أمّا الثاني فتمثل في التركيز على مناطق قلب المملكة المروية بإقليم شندي. وهنالك عقبات أخرى متعلقة بالاستقصاءات الأثرية؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر، الكثافة السكانية المنخفضة للمستوطنات المروية الكبيرة مثل الكدي "جنوب أمدرمان" وجبل مويا، والافتقار إلى أعمال المسح المنهجية المكثفة المتصلة بمواقع الفترة المروية على وجه التحديد؛ لتلافي الآثار الجانبية التي تترتب في العادة على قيام المشاريع التنموية، الخطر المحدق بسلامة المناظر الطبيعية والمواقع الأثرية.

ومن جانب آخر؛ يلاحظ تركيز الأعمال الأثرية الميدانية في المنطقة على فترات ما قبل التاريخ، والتاريخ الطبيعي، والجيولوجيا. في حين ظهرت الاكتشافات المؤرخة للفترة المروية وما بعد

1 Obeid, M et al. 1982. Op.cit, p.143.
2 Ibid, p.152.

المروية، عرضياً ضمن بحوث قد انصب تركيزها الأساسي على فترات ما قبل التاريخ؛ على سبيل المثال: موقع شبونة[1]، وجبل تومات بالضفة الشرقية[2]، والكِدَي بالضفة الغربية[3]، وعلى أية حال، يمكن تقسيم الدراسات السابقة في هذه المنطقة إلى عدة مراحل وهي:

1.3.. الرحلات الاستكشافية:

تمثل بعثة المستكشف العثماني سليم قُبطَان، المحاولة الأولى والوحيدة، لاستكشاف منطقة النيل الأبيض، في نهاية العقد الثالث من القرن التاسع عشر الميلادي، وبتكليف من والي مصر العثماني آنذاك، محمد علي باشا، بهدف توثيق الموارد الطبيعية والبشرية في النيل الأبيض. وقد بدأ سليم هذه الرحلة عبر الإبحار في النيل الأبيض من الخرطوم في عام (1939)م، وبالاتجاه جنوباً عكس مسار مجرى النيل، وقد سجل خلالها أسماء الجزر، والقرى، والجبال، ووصف أنواع النباتات، والحيوانات النهرية والبرية (سليم قبطان، 1843)[4].

وقد أعدت البعثة تقريراً وصفياً مفصلاً عن تلك الرحلة، إلا أن جهل أعضائها باللغات السودانية المحلية؛ قد أدى إلى تكرار الأخطاء المتصلة بالنطق الصحيح لأسماء القرى والمعالم الطبوغرافية، التي يصعب تحديدها حالياً على خارطة الإقليم، باستثناء بعض الأسماء التي وردت بالتقرير مثل: الشوال والجزيرة مصران بالضفة الشرقية للنيل.

2.3.. الأعمال الآثارية بالقرن الماضي:

بدت أول البحوث الأثرية الفعلية في الإقليم بعد قرن واحد من بعثة الرحالة سليم قبطان، بواسطة البريطاني أنطوني جون أركل (Arkell)، مدير مصلحة الآثار السودانية في عام (1949)م، والذي أجرى

1 Clark, D. 1980. 'Shabona erly khartuom settlement on the White Nile', later prehistory of the Nile Besin Sahara bozd, pp.389-401.
2 Clark, D. 1973.'Recent archaeological and geomorphological field studies in the Sudan' some preliminary results. Nyame Akuma 3, pp.55-64.
3 Usai, D. & Salvatori, S. 2002. 'The Is.I.A.O. El-Salha Archaeological Project', Sudan & Nubia 6, pp.67-72.
4 بكباشي سليم قبطان، الرحلة الأولى للكشف عن منابع البحر الأبيض (النيل الأبيض)، ملخص من تقرير المجموعة الرسمية للجمعية الجغرافية، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 1843م، ص45.

سلسلة من الحفريات بمنطقة كوستي(313كلم جنوب الخرطوم) أسفرت عن بعض البقايا الأثرية[1]، مثل قطع الفخار الشبيه بنماذج جبل مويا، وتميمة على شكل جعران مقدس مؤرخ لأواخر فترة نبتة. وجميع هذه المكتشفات محفوظة الآن في متحف السودان القومي، ولا تزال تمثل الدليل الأثري الأقدم على الانتشار الثقافي المروي في النيل الأبيض جنوب الخرطوم.

بعد عقدين آخرين تقريباً من حفريات آركل؛ نفذت هيئة الآثار السودانية في عام (1953)م، بقيادة كل من كينث مارشال (Marshall) وعبد الرحمن آدم، حفريات محدودة في موقع العشرة، على الضفة الغربية للنيل الأبيض جنوب أم درمان حيث تم العثور على بقايا لهياكل عظمية مدفونة في وضعيات مقرفصة[2]، إلى جانب المقابر الرُكامية التي أرخت إلى فترتي مرَّوي وما بعد مروي. وفي ذات التاريخ تقريباً، قام كروفورد (Crawford) بحفرياته في موقع القطينة، الذي حوى نماذج لشقف فخار مرَّوي وأساسات من الطوب الأحمر يعود تاريخها إلى العصر المسيحي المبكر[3].

وفي منتصف السبعينات من القرن الماضي؛ أجرى ديسموند كلارك (Clark) بعض الحفريات الاختبارية في موقع جبل تومات[4]، حوالي (12)كلم من الضفة الشرقية للنيل الأبيض، وإلى الشمال الشرقي من موقع جبل مويا، الظاهرة التضاريسية الفريدة التي تتوسط سهل الجزيرة الجنوبي.[(5)] ويعتبر موقع جبل تومات موقع مُتعدِد المراحل؛ حيث تعود البدايات الأولى للسكن بالموقع، وفقاً لواحدة من اختبارات الكربون (C14)، على عينة من الصدف النيلي (freshwater shell)، إلى منتصف الألفية الثالثة ق.م. وفقاً لمايكل براس (Brass) تشابه واحدة من شقف الفخار السميكة ذات الحافة المقلوبة والمزخرفة

1 Arkell, J. 1950. Op.cit, p.40.
2 Marshal, K.& Adam, A.1953.'Excavation of a mound Grave at Ushara', Kush1, pp.40-46.
3 Crawford, G. 1953. Op.cit, pp.26-27.
4 Clark, D. & Stemler, A. 1975. 'Early domesticated sorghum from Central Sudan', Nature 254, pp.588-591.
5 Addison, F. 1949. Wellcome excavations in the Sudan: I, Jebel Moya, 1910-1914. Oxford: Oxford University Press; Brass, M. 2016. 'Reinterpreting chronology and society at the mortuary complex of Jebel Moya', Cambridge Monographs in African Archaeology 92, Oxford, Archaeopress.

في هذه المرحلة، شقف المجموعة الثانية من جبل مويا[1]، بينما تعود المرحلة الثانية للسكن بالموقع للفترة ما بين أوائل القرن الأول ونهاية القرن الرابع الميلاديين وهي تواريخ معاصرة لمرحلة السكن الثالثة في جبل مويا[2]. أيضاً قدّم موقع جبل تومات في هذه المرحلة، دلائل على استئناس الذرة الرفيعة جنباً إلى جنب مع عظام الماشية؛ مما يشير إلى اقتصاد مختلط، جمع ما بين الزراعة وتربية الحيوان.

كما أجري كل من على التجاني الماحي وراندي هالاند (Haaland)، مسحًا أثريًا في الفترة من يناير إلى فبراير (1983)م بين جبل تومات وربك، وعدد من الحفريات الأثرية (تقريباً خمسة مواقع مختارة في ربك)[3]. ولسوء الحظ، ليس هنالك تقارير منشورة، لتوضيح طبيعة البقايا المروية المفترضة في المستويات العليا من تلك الطبقات المحفورة بالموقع.

3.3.. الأعمال الأثرية بالقرن الحالي:

شهدت الفترة ما بين نهاية القرن العشرين وحتى اليوم، مشروعين آثاريين رئيسين بالإقليم، تضمنا مسوحاً ميدانية وحفريات أثرية محدودة. يمثّل الأول المسح الأثري على الضفة الشرقية للنيل الأبيض بقيادة خضر آدم عيسى،[(4)] وقد بدأ في العام (1997)م، وبدعم من الهيئة القومية للآثار والمتاحف (NCAM) وقسم الآثار جامعة الخرطوم، وقد هدف إلى رسم خارطة عامة لتوزيع المواقع الأثرية بالإقليم عموماً، عن طريق نظام تحديد المواقع العالمي(G.P.S)، فكان أول عمل آثاري موجه لتسجيل وتوثيق المواقع، وتضمن المشروع من بين أهدافه العديدة؛ التأكد من الحدود السياسية الجنوبية لدولتي نبتة– مروي ومعلوم أن الحدود الجنوبية لهذين الكيانين السياسيين تظل غير مُحَدَّدة بشكل دقيق حتى الآن[5].

1 Brass, M. 2016.Op.cit, p.40; Clark, D. & Stemler, A. 1975. Op.cit, p.59.
2 Brass, M. 2016.Op.cit, p.16.
3 el-Mahi, & Haaland, 1984. Op.cit, p.28.
4 Eisa, K. 1997. Op.cit; Eisa, K. 2004. ‘Prospections le long du Nil Blanc. Quatrième et cinquième saisons (2002-2004)’, CRIPEL 24, pp.177-191.
5 Eisa, K. 2002. ‘Archaeological discoveries along the east bank of the White Nile (1997 -2000)’, Sudan & Nubia 6, pp.64-66.



مجلة "منبر التراث الأثري"
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

إجمالاً؛ تمخض عن هذا العمل، عن اكتشاف وتسجيل عدة مواقع أثرية تم تحديدها على الصفة الشرقية للنيل الأبيض، وفي المساحة المحصورة ما بين الخرطوم والكوة (286)كلم، والتي تعود إلى فترات تاريخية وما قبل تاريخية متنوعة، بما في ذلك بعض المواقع التي اشتملت على مظاهر الفترة المروية.

وفي إطار ذات المشروع، قدَّم موقع مدينة الكوة، أدلة نوعية على الفترة المروية، تمثلت في العثور على جعرانين مقدسين، وجد الأول "ولسوء الحظ" عشوائياً بواسطة مواطن على السطح، ودونما سياق، منقوش على سطحه علامة (nfr)، والتي تعني الجميل بالهيروغليفية المصرية. أمّا الثاني ففي رديم بجوار قبر لأحد الأطفال، مكتوب عليه عبارة بالهيروغليفية؛ فسرها عيسى على أنها تميمة مخصصة للابتهال للإله آمون[1]. ويضاف إليهما جعراناً آخر ربما هو الأقدم من الناحية الزمنية، عثر عليه آركل في كوستي[2] (الصورة رقم 01).

صورة 01

جعران مقدس من موقع الكوة.



المصدر: Eisa, 1999

1 Eisa, K. 1999. ‘The extremities of the Kushite State during the Meroitic period’, Meroitica 15, pp.366-371.
2 Arkell, J. 1950. Op.cit, p.40.

كما أظهرت الدلائل من خلال هذا المسح، وجود النوعين من الفخار المروي المصنوع يدوياً، وشقف الفخار المصنوع بالعجلة، مع أن غالبية الفخار من النوع اليدوي، ويتميز بزخارفه المتنوعة[1]، والتي تختلف في غالب الأحيان عن زخارف الفخار المروي المتواترة في مناطق أخرى شمالية؛ في الخرطوم، وشندي، والبطانة (الصورة رقم 02 – الشكل رقم 01) ومع ذلك؛ فثمة زخارف أخرى للفخار المروي اليدوي الذي عثر عليها في الدروة، تضمنت صور بشرية وحيوانية ونباتية مماثلة لنماذج مروية في المصورات الصفراء والحمّاداب[2].

صورة 02

شقف فخار موقع البجة الدويحية جبل أولياء.



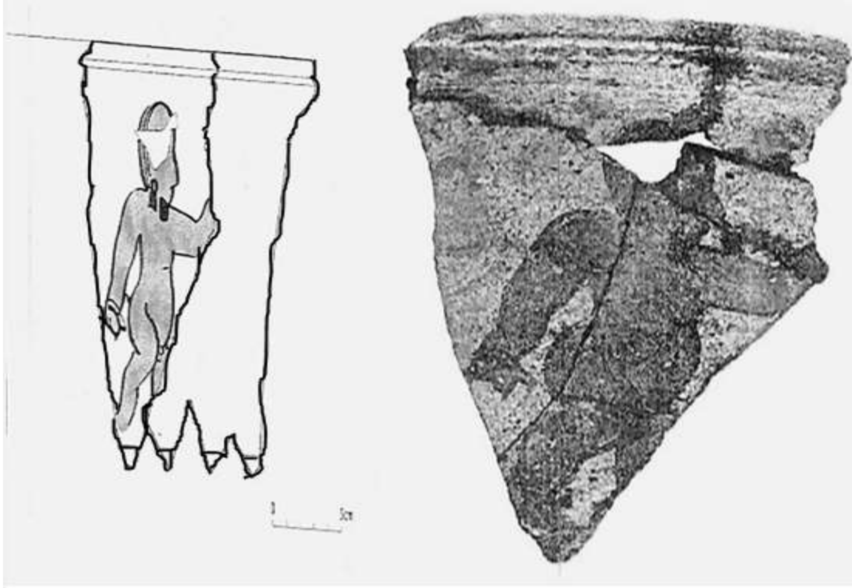
المصدر: الباحث 2015.

1 Eisa, K. 1999. Op.cit,pp.368; Eisa, K. 2002. ‘Op.cit,p.66; Eisa, K. 2004.‘Prospections le long du Nil Blanc. Quatrième et cinquième saisons (2002-2004)’, CRIPEL 24, p.188.

2 Eisa, K. 2004. Op.cit, p.191.

شكل 01

زخرفة فخارية على شكل إنسان عاري موقع الدروة.



المصدر: Eisa, 2004

أيضاً أظهرت أعمال المشروع دلائل لوجود عدد من المقابر (الفردية- الجماعية) المؤرخة للفترة المروية، في الدروة، وقوز نوري، ود جار النبي، ود المجذوب، والكوة (الخريطة رقم 02) اعتماداً على نوعية الأثاث الجنائزي المرافق، والذي اشتمل على رؤوس السهام الحديدية، والخرز، والسكاكين الحديدية، والرماح الحديدية، وأختام رمي السهام[1]، مع أن غالبية الأسلحة الحديدية المكتشفة، كانت في حالة سيئة من حيث الحفظ.

1 Eisa, K. 2015. ʿRecent archaeological discoveries at Wad el-Magzoub Site (White Nile) Sixth to seventh season (2006-2008). In The Kushite world: Proceedings of the 11th International Conference for Meroitic Studies, edited by Michael Zach, Vienna:Verein der Förderer der Sudanforschung, pp.415-22.

وعلى أية حال ربما يكون مصدر هذه الأسلحة الحديدية العاصمة السياسية للمملكة أو أحد مراكزها المحيطة[1]، حيث توفر المادة الخام، وغير المتاحة في مناطق أخرى كالخرطوم وسهلي الجزيرة والنيل الأبيض. وهنالك مؤشرات قوية على أن رؤوس السهام الحديدية المكتشفة بالنيل الأبيض، والمميزة بوجود الشوكة الجانبية، شبيهة بنوعية الرماح الحديدية التي سادت بأواخر الفترة المروية، إلى جانب وجود نوع آخر ربما استخدم كرُمح صغير، أو رأس لسهم كبير، وكلاهما معروفان في مواقع أخرى قريبة من مجري النيل الأزرق[2].

وفوق كل ذلك؛ فقد كشف هذا المشروع، عن أهم الدلائل الأثرية المروية المؤكدة بمنطقة النيل الأبيض، في موقع الدروة جنوب جبل أولياء، والمتمثلة في أساسات لمباني من الحجر الآجر، إلى جانب الفخاري المروي الملون المصنوع بواسطة العجلة، والفخار اليدوي والذي يشكّل المظهر الثقافي الوحيد على الاستيطان المروي الحضري في هذه المنطقة.

ومن جانب آخر؛ تعزز المواد المكتشفة بواسطة مشروع المسح الآثاري بالضفة الشرقية للنيل الأبيض، العديد من مظاهر اللّقى الأثرية المروية، التي سجلت عن طريق البلاغات؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر؛ عثر في قرية جريدة الواقعة على مسافة (3) كلم جنوب القطينة (الخريطة رقم 02) على مجموعة من القطع الذهبية المتمثلة في تميمة للإله المصري القديم بتاح، وتميمة أخرى للإله بس، وهو يقف فيما يبدو على تمساحين، وهناك أيضًا تميمة صغيرة أخرى على شكل طائر ورأس كبش، وأخرى لعقرب، وجزء من عقد غير مكتمل[3]. كما تم العثور أيضاً على العديد من التحف الذهبية بجانب النيل الأبيض في نواحي مدينة الكوة، اشتملت على تميمة لعقرب مطابقة لتلك التي عثر عليها في القطينة، وجزء من خرطوش غير

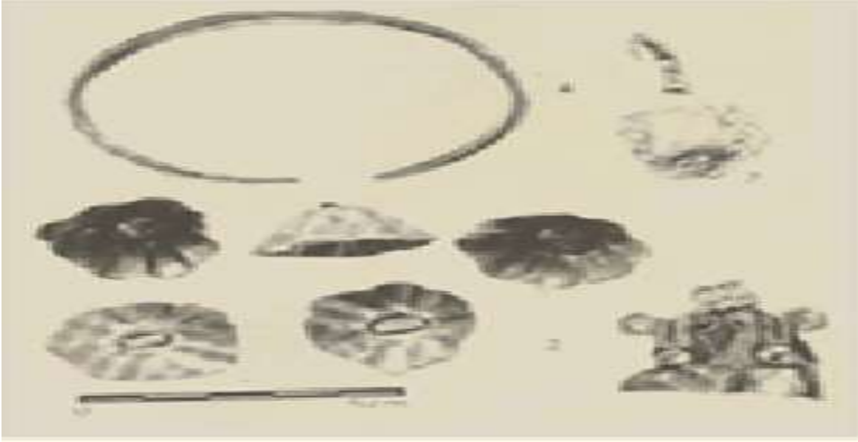
1 Bashir, M. S. 2007. 'Rescue Excavation of aLate-Meroitic Tomb at Botri south of Khartoum', Preliminary Report. Sudan & Nubia (11), pp.94-97.
2 Tayeb, M. 1999. 'Rescue Excavation at El-Sabeil (Soba West)', Meroitica 15,pp.604- 615; Crawford, O. & Addison, F. 1951. Abu Geili, Saqadi and Dar el Mek. The Wellcom excavations in the Sudan, Oxford University Press,p.129.
3 Leclant. J. & Clerc, G. 1986. 'Fouilles et travaux en Egypt et au Soudan (1984-1985)', Orientalia 55 (3), pp.219-36.

مجلة "منبر التراث الأثري"
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

مكتمل بقرص الشمس، وأساور وعلى الراجح تعود أغلبية هذه المواد من الناحية الزمنية إلى فترة نبتة[1] (الصورة رقم 03 أ، ب).

صورة 03

(أ) حلي ذهبية من منطقة النيل الأبيض – الكوة.



المصدر: Geus, 1984

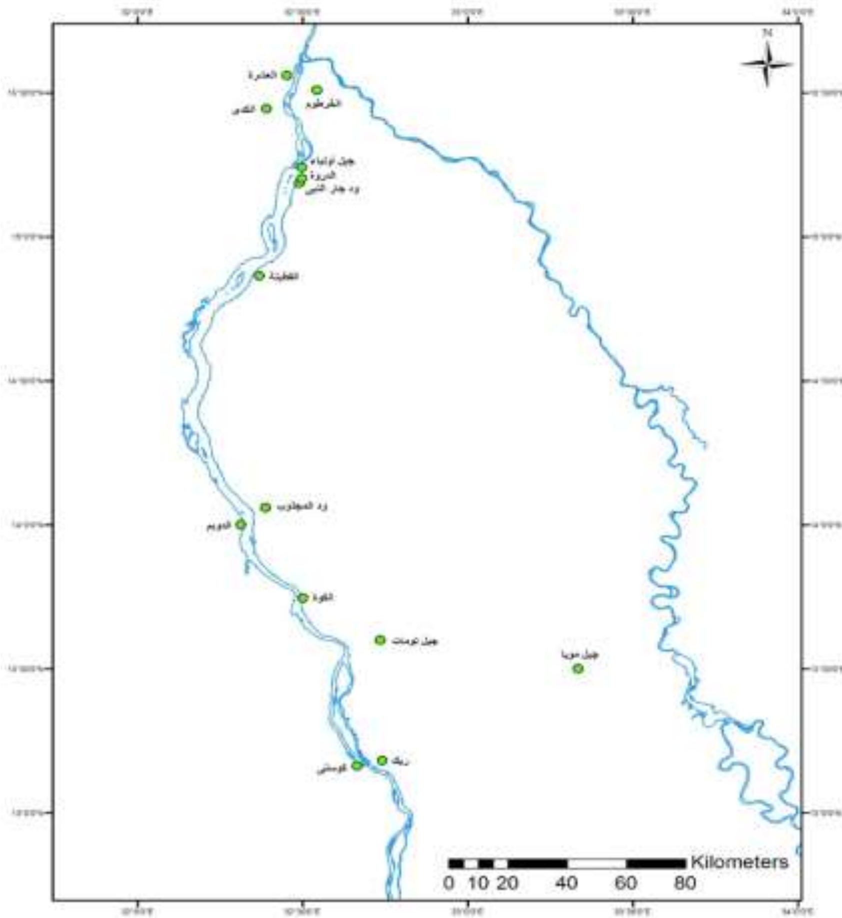
أما المشروع الأثري الثاني في المنطقة؛ فقد نفذته البعثة الأثرية الإيطالية العاملة في وسط السودان، وعلى وجه التحديد في منطقة الصالحة جنوب أم درمان، والتي كشفت عن خمسة مواقع أثرية هامة حول قرية الكِدَي. إتنان من هذه المواقع على الأقل أُعِيد استغلالها بالفترة المروية وما بعد المروية وهما المقبرتان المقرمتان بـ (16-D-5)-1) ، و (3-16-D-3)، إلى جانب المقبرة المروية المكتشفة بالكِدي (16-D-4) 2)[2].

1 Geus, F. 1984. Rescuing Sudan's ancient culture. French Unit of the Directorate General Of Antiquities & National Museums of the Sudan, Khartoum.
2 Usai, D. et.al. 2014.Op.cit, p.198.

يبلغ العدد الإجمالي للمقابر المروية المحفورة في الكِدَي (16-D-4) (43) مقبرة، بواسطة دوناتيلا أوساي ومؤرخة إشعاعياً (Radio Metric Dating) للفترة ما بين القرنين القرن الأول ق.م والقرن الثاني الميلادي[1]، وهي معاصرة أيضاً لموقع جبل مويا. مع أن هذه المقابر تعاني من خراب كبير أجراه اللصوص بالعصور القديمة.

خريطة 02

توزيع مواقع اكتشافات الفترة المروية بمنطقة النيل الأبيض.



1 Usai, D. et.al. 2014.Op.cit, pp. 183-204.



طريقة بناء المقابر في الكِدَي (16-D-4)، تأثيرًا مرويًا واضحاً، من خلال الحجرة ذات الشكل الدائري أو الإهليلجي المقطوعة في الصخر، والتي يتم الوصول إليها عبر مدخل مائل.[(1)] وربما هي شبيهة من حيث الأسلوب المتبع بالمدافن المروية بالجيلي شمال الخرطوم[2].

بشكل عام، وجهت غالبية المقابر المروية في الكِدَي شرق-غرب، بينما كانت هنالك مقابر أخرى شمال-جنوب، ودُفِن أفرادها في وضع مقرفص، مع توجيه الوجه إلى الغرب، كما أُلحِقت في بعض الأحيان وسائد حجرية تحت الرأس[3]. ثمة اختلاف واضح لمقابر الكِدَي، من حيث الشكل العام، المميز لمقابر جبل مويا ذات الطبيعة الرملية الضحلة، التي تفتقر إلى الحشوات الحجرية الجانبية، والبني الداخلية والفوقية؛ مما قد يشير إلى أن الممارسات الجنائزية في الكِدَي (16-4-D)، قد تأثرت أكثر بنظيراتها في إقليم شندي منها إلى جبل مويا.

وقد أشارت البيانات التحليلية في الكِدَي، إلى مُعدلات منخفضة لتسوس الأسنان، ممّا قد يعد مؤشراً على أن سكان الكِدَي قد اعتمدوا على الكثير من النشويات "الكربوهيدرات" في نظامهم الغذائي، كما يُعتقد أن الارتفاع في مُعدَّل التفاضل والتكامل ناتج عن استهلاك بروتين اللحوم؛ ومع ذلك، فإن نسبة (11٪) من الأسنان الدائمة أظهرت نقص تنسج المينا مِمّا يدل على سوء التغذية أو الإجهاد الغذائي[4].

كما تمت ملاحظة بعض البضائع الجنائزية المصاحبة، بما في ذلك كوبين وأواني فخارية أخرى مشابهة إلى تلك التي تواترت في مواقع قلب المملكة المرَّوية. وفقا لكل تلك البيانات التحليلية والإحصائية، فقد تم تحديد اقتصاد سكان موقع الكِدَي، باعتباره اقتصاد رعوي على الأرجح، بينما تمت قراءه مُجمل هذه النتائج بواسطة دوناتيلا أوساي على أساس أن هذه المنطقة، قد كانت ضمن نطاق السيطرة السياسية المروية[5]، وهي نتيجة قد استنتجها خضر آدم عيسى من قبل[6].

---

1 Usai, D. et.al. 2014.Op.cit,pp.187.
2 Caneva, I. 1988, Op.cit, 191. Fig.22.
3 Usai, D. et.al. 2014. Op.cit, p 193.
4 Ibid, p.194.
5 Ibid,p.193.
6 Eisa, K. 1999. Op.cit.

4.. التحليل والمناقشة:

على الرغم من أن نتائج المسح الآثاري بالضفة الشرقية للنيل الأبيض، لم تسهم في وجود أي مستوطنات مروية كبيرة بالضفة الشرقية، أو أي مقابر مروية مؤرخة بإطار زمني، غير أن ذلك لا يعني أخذه مؤشراً نهائياً، على أن السيطرة المروية، لم تمتد إلى الجنوب من الكِدَي ولأسباب عدة: أولها طبيعة السطح العام لمنطقة النيل الأبيض، ذات السهل الفيضي المنخفض عموماً، وغير المساعد على حفظ المكونات الأثرية، باستثناء أماكن القيزان الرملية، وهي البيئة الأوفر حظاً في الوقت الحالي عند محاولة استكشاف بقايا آثار السكن والمدافن بالمنطقة. بيد أن القيزان "أو الدبب" القريبة من مجرى النيل، قد ظلّت أماكن للسُكنى والدفن خلال الفترات الحديثة وبالتالي؛ طُمِست غالبية دلائل الفترة المروية المحتملة على السهل الفيضي القريب والمحاذي لمجرى النيل الأبيض على الضفتين (الصورة رقم 04).

صورة 04

أثر الفيضان في تآكل الحافة الغربية المطلة على النيل.



المصدر: موقع الدويحية.

المجلد: 12؛ العدد: 01؛ 2023
ص 11-42



مجلة "منبر التراث الأثري"
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

ثاني الأسباب؛ لا تزال غالبية المعلومات المتصلة بالامتداد المروي في هذه المنطقة، مُستمدّة وبالدرجة الأولى، وباستثناء حفريات آركل في كوستي، من سلسلة المسوح والحفريات الإنقاذية المحدودة، التي أجريت بواسطة مشروع المسح الآثاري للنيل الأبيض، في الفترة ما بين (1997-2010)م في الكوة، وود المجذوب، وجار النبي، والدروة...الخ، فمعظم هذه الحفريات لم تكتمل في صورتها النهائية، ولا توفر تقاريرها الأولية، التي تم الاعتماد عليها - وبشكل أساسي- في هذه الورقة على المعلومات التفصيلية اللازمة، فضلاً عن افتقارها لنتائج التحاليل المعملية الضرورية لمواد مثل الفخار والعظام، والخرز، والأصداف...الخ.

ثالثا؛ تعكس مواقع المكتشفات المروية في هذه المنطقة، طبيعية ريفية شبه مستقرة للسكان، الذين اعتمدوا في الأرجح على النشاط القائم على حرفة الصيد والتقاط الثمار بالإضافة إلى نشاط الرعي؛ وبالتالي فإن السيطرة السياسية المحتملة من جانب السلطة المروية على مثل هؤلاء السكان المتجولين؛ لابد من كونها عمدت إلى استخدام وسائل منسجمة مع نمط حياة السكان، ومختلفة عن بقية الأقاليم القريبة من المركز، مثل منطقتي شندي والبطانة والنوبة السفلى؛ ففي رأينا، لا تعني السيطرة السياسية المروية على مثل هذا التُخم الريفي؛ تمثيلاً رسمياً على النحو الذي تشهده مثل هذه المواقع الحضرية، التي تشتمل المباني السياسية والادارية والمدنية؛ بل هو أقرب للتمثيل السياسي غير المباشر الذي تعتمد فيه السلطة المركزية في تثبيت هيبتها بين السكان على فئات الصفوة المحلية من الزعماء ورؤساء العشائر. وهو تمثيل ينسجم مع الطبيعة السكانية المتنقلة في هذه المنطقة، والتي لا تقيم وزناً لمظاهر الاستقرار والسُكنى. ولكن هذا الفرض يفتقر الى وجود أدلة المجاميع الجنائزية الكبيرة لعامة السكان المعاصرين للفترة المروية في المنطقة- باستثناء جبانة الكِدي-. وعلى العكس من منطقة الخرطوم، حيث تنتشر العديد من الجبانات المتزامنة مع الفترة، في الشاهيناب، والسروراب، والجريف شرق، والكدرو، والجيلي.

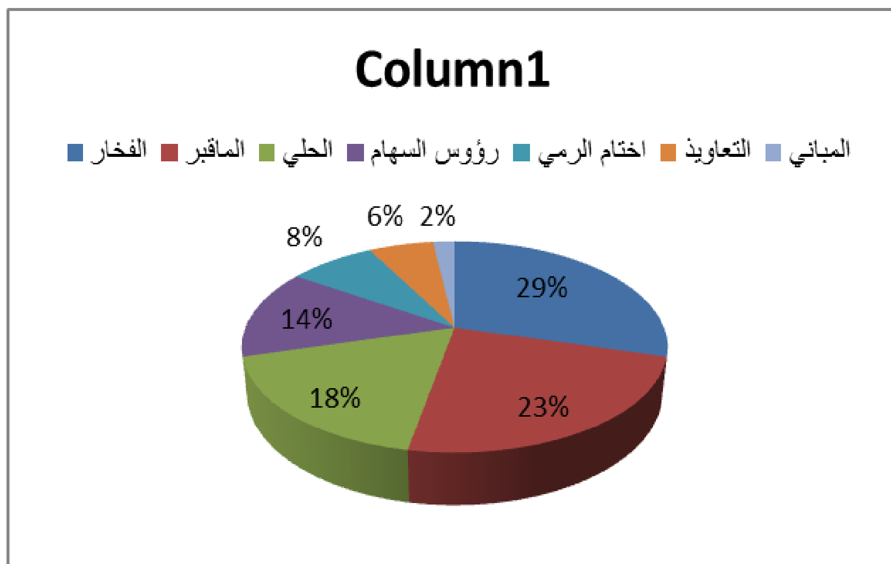
وبناءً على ما تقدّم؛ لا يزال الوضع الحالي للبحوث الأثرية بإقليم النيل الأبيض- والذي يُعدُّ مفترق طرق حاسم، بين قلب المملكة المروية، وحزام الساحل في الغرب، وسهل الجزيرة والبطانة إلى الشرق- في مهده الأول؛ نظراً لقلة المعلومات الأولية الحالية، خارج أعمال التنقيب في الكِدَي، وذلك يعني؛ أنه لا يمكن القول وبأي درجة من اليقين؛ ما إذا كانت مواضيع الثقافة المادية، ذات الصبغة المروية، والإشارات

المحدودة للسكنى التي تم تسجيلها في الاقليم؛ ناتجة عن محدودية أعمال المسح والتنقيب الأثري بهذه المنطقة التي لم تحظى باهتمام كبير منذ الأعمال المبكرة[1]؛ أم إلى احتمال حدوث مستوى عالٍ من التدمير للمواقع[(2)] وفقاً للطبيعة المضطربة للعديد من المواقع القريبة من النيل، أم لكون المنطقة الواقعة جنوب الكِدَي لم تكن ذات أهمية في السياقات المروية؟

يشير الشكل البياني أدناه الى مجموعة متنوعة من المعثورات الأثرية، المزامنة للفترة المروية، والتي تم العثور عليها في (15) موقع أثري على كل من ضفتي مجرى النيل الأبيض ابتداء من العشرة جنوب أم درمان وحتى كوستي. وقد شملت تلك المعثورات: المقابر، والفخار، والحلي، ورؤوس السهام الحديدية، وأختام النبال، والتعاويذ، وأساسات البناء. (الشكل رقم 02).

شكل 02

توزيع البقايا المروية المكتشفة في منطقة الدراسة.



1 Edwards, D. 1989. Op.cit, p.43.
2 Ibid, p.131.



تم العثور على نماذج متنوعة من زخرفة الفخار المصنوع يدويًا، والتي ترتبط بالفخار المروى المسجّل في عدد من المواقع، على سبيل المثال الدِروة، والبجا الدويحية، والسليكاب. وقد قارن عبد الرحيم خبير زخارف الفخار اليدوي في النيل الأبيض، بأنواع مختلفة من زخارف الفخار المروى اليدوي في وسط– جنوب وسط السودان[1] ولكن تظل مواد الفخار التي تم التحصل عليها من الكوة، والدِروة، وود المجذوب في الضفة الشرقية، تفتقر إلى التوريخ الإشعاعي الذي يساعد في تحديد السياقات الزمنية المروية بالمنطقة.

وبخلاف ذلك، لم يتم العثور حتى الآن على الأفران، أو المعدات الضرورية المستخدمة لصناعة الفخار المصنوع بالعجلة. ونسبة لانحصار نماذج الفخار من هذا النوع في موقع واحد تقريباً، هو الدِروة شمال منطقة النيل الأبيض؛ مِمّا قد يشير إلى عملية تبادل تجاري بين هذه المنطقة والمراكز المرَّوية الرئيسية، سيما وان الموقع الاستراتيجي للدورة، المطِل على مجرى النيل، والواقع على مقربة من ظاهرة تضاريسية أخرى هامه هي جبل أولياء، إلى جانب وجود مظاهر أساسات البناء؛ فكل ذلك مؤشر قوي على وجود نقطة لمراقبة التجارة المروية النهرية، عند هذا المدخل المميز من الناحية الجغرافية؛ والذي ربما ربط ما بين المستوطنات المروية النهرية الرئيسة شمال الشلال السادس، مع العديد من النقاط النهرية الموزعة على جانبي مجري النيل، مثل الدِروة، والقطينة، والكوة.

في حين يشير العمل في منطقة الكِدَي بالضفة الغربية المقابلة؛ إلى أن مجال النفوذ السياسي المرَّوي امتد إلى شمال الجزيرة. يشير الافتقار إلى الفخار المصنوع على العجلة في المواقع الواقعة في الجنوب، إلى أنه على الرغم من احتمال وجود عمليات التبادل التجاري، إلا أن هذه المناطق كانت مستقلة سياسيًا. ومع ذلك، فإن ما تمس الحاجة إليه هو برنامج للتأريخ الإشعاعي لمواقع الفخار والسياقات المرتبطة بها في هذه المنطقة.

تنتشر التمائم والجعارين على نطاق واسع في وداي النيل، ولكن بكميات محدودة إلى حد ما في منطقة الدراسة، وقد ظهرت لأول مرة في مصر القديمة،[2] وهناك قائمة طويلة من العناصر التي حفرها رايزنر

1 Khabir. A. M. 2006. Archäologie du Nil Moyen,V.ol, 10, p.38.
2 Sparavigna, A. 2009 Ancient Egyptian Seals and ScarabS, Torino: Polytechnic of Torino.

من مقابر الجنوب والشمال في مروي[1]، أيضاً تم العثور على هذه التمائم في أماكن أخرى في محيط المملكة وشمالها، مثل موقع كرمة[2]، والكدادة[3]، والقليل منها في جبل مويا جنوب سنار[4]، إن وجود هذه الجعارين خارج الحدود السياسية للدولة المروية وصولاً إلى الكوة بالضفة الشرقية، وكوستي على الضفة الغربية، "وربما أبعد من ذلك" يدل على أهمية دينية لهذه العناصر، لا سيما في حال النظر، إلى تواتر أنواع أخرى من التمائم الذهبية، والتي تم العثور عليها بالصدفة في الكوة والقطينة، ولآلهة معروفة؛ كالإله بس، وآمون، وبتاح...الخ.

بجانب التمائم والجعارين تنتشر أيضًا العناصر المصنوعة من الحديد. وتشير الأدلة الخاصة بالمواد الحديدية التي عُثر عليها حتى الآن في المدافن المروية، إلى أن الحديد قد اقتصر في البداية على صناعة أدوات الزينة الصغيرة، والأغراض الشخصية المتعلقة بالطبقات العليا من المجتمع ومع ذلك[5]، أصبح الحديد أكثر شيوعًا تدريجيًا، ربما مع زيادة عدد الحرفيين الذين لديهم معرفة بكيفية إنتاج الحديد، أو دخول المزيد من العناصر الغريبة إلى اقتصاديات المستويات العليا في المجتمع[6]. افترض لينوبل أن وجود أسلحة حديدية في المدافن المروية، كان تمثيلًا رمزيًا للهيمنة السياسية والدينية للسلطة[7]، بينما ربطت هالاند (Haaland) رمزية الحديد بثلاثة فئات للمجتمع المرَّوي وهي: النظام الملكي، والحرفيين المنتجين، ثم كهنة الإله أبادماك

1 Dunham, D. 1963. The Royal Cemeteries of Kush, vol. 5, The West and South Cemeteries at Meroe (1st edn), Boston: The Museum of Fine Arts, pp.50-53.

2 Bonnet, C. & Tayeb, M. 1991.ʽA Meroitic Tomb from the cemetery of the Ancient town',Genava39, pp.29- 34.

3 Geus, F. & Lenoble, P. Op.cit, p.1985.

4 Addison, F. 1949. Op.cit; Brass, M. & Schwenniger, J. 2013. Op.cit; Brass, M. 2016. Op.cit.

5 Humphries, J. & Rehren, T. 2014. Iron production and the Kingdom of Kush: An introduction to UCL Qatar's research in Sudan. In Ein Forscherleben zwischen den Welten, edited by Lohwasser. A. & Wolf, P. Berlin, Sonderheft MittSAG, p.179.

6 Ibid, p.188.

7 Lenoble. L. 2006. Aux armes, souverains! L'arsenal funéraire des empereurs méroïtiques, Kerma et Méroé. Khartoum: Cinq conférences d'archéologie soudanaise, Khartoum.



(إله الحرب والخلق)[1]. على أية حال تم العثور على رؤوس السهام الحديدية في عدة مواقع بالنيل الأبيض، وبالارتباط مع سياقات الدفن الجنائزي المشتمل على الهياكل، والفخار، والخرز، وجميعها في حالة سيئة من الحفظ؛ كما تحللت أعوادها الخشبية منذ فترة طويلة ولكن ربما يكون لخام الحديد نفسه أهمية كبيرة في هذا السياق.

وعلى الرغم من هذا التنوع في مظاهر الثقافة المادية المميزة للفترة المروية، بمواقع النيل الأبيض جنوب الخرطوم، فإن الكيفية الدقيقة التي دُمِجت بها هذه العناصر من الناحية الأيديولوجية أو الثقافية مع النظم العقائدية لسكان هذه المناطق سواء كانوا صيادين، أو ملتقطي ثمار، أو رعاة، أو مزارعين، والذين يفترض أنهم كانوا خارج السيطرة المباشرة للدولة المرَّوية غير معروفة حتى الآن.

ومن جانب آخر؛ يلاحظ قرب توزيع مواقع مظاهر الفترة المروية بالمنطقة لكل من الضفتين، باستثناء ود المجذوب (حوالي 25)كلم، وجبل تومات (حوالي 12)كلم عن الضفة الشرقية للنيل الأبيض، في تلال رملية متوسطة الارتفاع عن السطح المحيط. وذلك يعضد فرضية سابقة لعلى عثمان محمد صالح حول عبقرية سكان العصر الحجري الحديث في اختيار أماكن السكن الخاصة بمناطق وسط السودان؛ حيث تجنبوا السكن الملاصق للأودية والأنهار الكبرى تفادياً لحدوث الفيضانات المدمِرة. وقد لوحظت مستوطناتهم في غالب الأحيان على تلال مرتفعة قليلاً، حتى في الأماكن التي يعتمد فيها الإنسان علي اقتصاد صيد الأسماك وجمع القواقع. وهي ذات الاستراتيجية التي تبناها السكان المعاصرين للفترة المروية على سهل النيل الأبيض جنوب الخرطوم، بناء على العديد من المعطيات الميدانية المتوافرة حالياً؛ على سبيل المثال لا الحصر: التداخل فيما بين مدافن الفترة المروية ومدافن فترة العصر الحجري الحديث (الكدرو، الخرطوم، والسروراب، الكدي، ود المجذوب، الدروة...الخ)، والطبيعة شبه المستقرة التي تعكسها مدافن السكان، وتواتر التقنيات المستخدمة في الصيد مثل السهام والحراب التي ربما كانت العنصر الأساسي الذي استخدم في جمع الطعام، واستخدام الأدوات الحجرية كالرحى، وجرار حمل السوائل...الخ.

1 Haaland. R. & Haaland. G. 2007. 'God of war, worldly ruler, and specialists in theMeroitic kingdom of Sudan', Journal of Social Archaeology 7(3), pp.372-392.

5.. خاتمة:

وفي الختام؛ حاولنا من خلال هذا المقال مناقشة الأدلة المتفرقة، لمظاهر الثقافة المادية العائدة للفترة المروية على النيل الأبيض جنوب الخرطوم، وهي أدلة معلومة -في معظمها- مسبقاً؛ بيد أنها مشتتة في بحوث متفرقة، ولا تسهم بفعالية في توضيح طبيعة العلاقة القائمة بين مروي وهذه المنطقة، وذلك من خلال جمعها وترتيبها في مكان واحد ولأول مرة بغرض تقييمها ووضعها داخل السياق الثقافي العام للفترة.

ربما لا تكفى الأعمال الأثرية، التي تم إجراؤها في منطقتي النيل الأبيض والجزيرة جنوب الخرطوم، بادعاء السيطرة السياسية المروية المباشرة على هذه المناطق؛ ولكنها تشير في المقابل إلى حقيقة هامة؛ مفادها استخدام هذين المجريين المائيين كوسائل لنقل البضائع والتجار المرَّويين، وبالتالي؛ انتشار التأثير الثقافي المروي من الشمال إلى الجنوب. ويؤكد هذا القول تواتر اكتشاف الأدلة الاثرية المرَّوية على طول مجرى النيل الأبيض.

من جانب آخر تفتقر السيطرة السياسية المروية على هذه المنطقة الى الدليل الأثري المباشر، الذي يتمثل في أدلة المرافق العسكرية والإدارية والدينية التي عادة ما يتم إنشاؤها بواسطة المملكة في المناطق الواقعة تحت تأثيرها السياسي، وأيضا يفتقر أدلة الى المكاتبات الرسمية التجارية، والادارية، والدينية. وفي المقابل ربما كان التمثيل السياسي في مثل هذه المنطقة الريفية، يتناسب وطبيعة حياة السكان "البدو"، وربما كانت أساليب الهيمنة السياسية المروية هنا، لا تترك اثارا مرئية على السجل الاثري، كالزعماء المحليين الممثلين للسطلة السياسية. ويظل هذا مجرد تخمين الى أن يعضد بالمزيد من الأدلة الأثرية.

إن لمن المؤسف حالياً، أن تخسر الخارطة العامة لتوزيع المواقع الأثرية بالمنطقة، العديد من المواقع ذات الأهمية، في كوستي، وربك، والدِروة جنوب جبل أولياء، لا سيما فيما يتعلق بالاستقصاء الموجه للإجابة على التساؤل القائم، حول الامتداد المروي؛ فجميع هذه المواقع قد تعرضت للتدمير الواسع؛ نتيجة للتوسع التنموي والعمراني، والذي بدت تداعياته جلية؛ أثناء أعادة المسح الذي تم على بعضها في العام

المجلد: 12؛ العدد: 01؛ 2023
ص 11–42



مجلة "منبر التراث الأثري"
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

(2014)م بواسطة الباحث[1]، مما يستدعي بالوقت الراهن، العمل على إجراء مسوح جديدة، وبمنهجية مختلفة، تتضمن الحفريات الإنقاذية الشاملة والموجهة للمواقع الأثرية الأكثر عرضة للزوال؛ كحالة مواقع جبل أولياء، وعلى وجه الخصوص؛ موقع البجة الدويحية الذي ظل يتآكل من جراء مياه الفيضان، وموقع الدِروة باعتباره الموقع الفريد الذي قدم دلائل لمظاهر السكنى المروية الحضرية علي مجرى النيل الأبيض جنوب الخرطوم، والمتأثر حالياً من جراء التوسع في إنشاء المباني العسكرية (الصورة رقم 04). إلى جانب أجراء المسح الأثري الموجه بالضفة الغربية للنيل؛ للاستقصاء عن مواقع الفترة المروية على الشريط السهلي الممتد جنوب الكِدَي وحتى كوستي والتي لم تشهد أعمالاً استكشافية تذكر الي اليوم، أملاً في تحديد المزيد من المواقع المروية المحتملة، وتلافي خسرانها، قبل الاستفادة العلمية المرجوة. ومن المؤكد أن إجراء المزيد من المسوحات المنهجية في المستقبل، بما في ذلك علم الآثار الغارقة، سيوفر إمكانية الحصول على المزيد من الإجابات المفيدة حول دور هذه المناطق الجغرافية الاستراتيجية للمملكة المروية، وكيفية تفاعل سكان هذه الحدود مع السلطة المروية، التي كان بإمكانها، الوصول إلى هذه السهول عبر العديد من الوسائل، كشن غارات عسكرية جنوبًا للعبيد، والانتقام واستخراج الموارد الطبيعية اللازمة في أغراض الصناعة.

شكر:

تدين هذه الورقة؛ لبروفيسور خضر آدم عيسي، كلية التربية، جامعة الخرطوم، الذي وفَّر مشروعه المسحي والإنقاذي بالضفة الشرقية للنيل الأبيض المعلومات الأساسية. ولدكتور مايكل براس، الباحث بمعهد الآثار، كلية لندن الجامعية، الذي قام بالمراجعة وبتقديم الملاحظات القيمة.

1 عمار عوض محمد عبد الله مظاهر الانتشار المروي جنوب الخرطوم (دراسة حالة مواقع النيل الأبيض)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، قسم الأثار، 2015م.

6.. البيبليوغرافيا:

أولا: المراجع باللغة العربية

- بكباشي سليم قبطان، الرحلة الأولى للكشف عن منابع البحر الأبيض(النيل الأبيض)، ملخص من تقرير المجموعة الرسمية للجمعية الجغرافية، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 1843م.
- علي عثمان محمد صالح ، تحول مجتمعات العصر الحجري الحديث الى مجتمعات مستقرة، ورقة علمية غير منشورة، 2013م.
- عمار عوض محمد عبدالله، مظاهر انتشار الحضارة المروية جنوب الخرطوم (دراسة حالة منطقة النيل الأبيض)، رسالة ماجستير في الاثار غير منشورة، جامعة الخرطوم، كلية الآداب،2015م.
- كلاكهون كلايد، الإنسان في المرآة، ترجمة شاكر مصطفى سليم، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد نيويورك، 1949م.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

- Adams. W. 1977. Nubia: Corridor to Africa London, First edn. Allen Lane.
- Addison, F. 1949. Wellcome excavations in the Sudan: I, Jebel Moya, 1910-1914. Oxford: Oxford University Press.
- Addison, F. 1950. ‘Archaeological discoveries on the Blue Nile’, Antiquity 24, pp.12-24.
- Andrew, G. Tothill (edn) 1948. The geology of the Sudan. In Agriculture in the Sudan. London: Oxford University Press.
- Arkell, J. 1950. ‘Varia Sudanica’, Journal of Egyptian Archaeology 36, pp. 24-40.
- Bashir, M. S. 2007. ‘Rescue Excavation of aLate-Meroitic Tomb at Botri south of Khartoum’, Preliminary Report. Sudan & Nubia (11), pp. 94-7.
- Brass, M. & Schwenniger, J. 2013. ‘Jebel Moya (Sudan): new dates from a mortuary complex at the southern Meroitic frontier’, Azania 48(4), pp.455–472.



مجلة "منبر التراث الأثري"
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

- Brass, M. 2016. ʿReinterpreting chronology and society at the mortuary complex of Jebel Moya', Cambridge Monographs in African Archaeology 92, Oxford, Archaeopress.
- Bonnet, C. & Tayeb, M. 1991. ʿA Meroitic Tomb from the cemetery of the Ancient town', Genava39, pp. 29–34.
- Clark, D. 1973. ʿRecent archaeological and geomorphological field studies in the Sudan' some preliminary results. Nyame Akuma 3, pp. 55-64.
- Clark, D. & Stemler, A. 1975. ʿEarly domesticated sorghum from Central Sudan', Nature 254, pp. 588-591.
- Clark, D. 1980. ʿShabona erly khartuom settlement on the White Nile', later prehistory of the Nile Besin Sahara bozd, pp.389-401.
- Crawford, O. & Addison, F. 1951. Abu Geili, Saqadi and Dar el Mek. The Wellcome excavations in the Sudan, Oxford: Oxford University Press.
- Crawford, G. 1953.ʿ Field Archaeology in the Middle Nile Region', Kush 1, pp.2 -29.
- Dunham, D. 1963. The Royal Cemeteries of Kush, vol. 5, The West and South Cemeteries at Meroe (1st edn), Boston: The Museum of Fine Arts.
- Edwards, D.1989. ʿArchaeology and Settlement in upper Nubia in the 1st millennium A.D', Oxford: Cambridge monographs in African Archaeology 36, BAR International Series, (537).
- Eisa, K. 1997. Archaeological survey of White Nile, 1st season (May –September1997). Unpublished preliminary Report, National Corporation of Antiquities and Museums (Sudan).
- Eisa, K. 1999. ʿThe extremities of the Kushite State during the Meroitic period', Meroitica 15, pp. 366-371.
- Eisa, K. 2002. ʿArchaeological discoveries along the east bank of the White Nile (1997 – 2000)', Sudan & Nubia 6, pp. 64-6.
- Eisa, K. 2004. ʿProspections le long du Nil Blanc. Quatrième et cinquième saisons (2002-2004) ', CRIPEL 24, pp.177-191.

- Eisa, K. 2015. ‘Recent archaeological discoveries at Wad el-Magzoub Site (White Nile) Sixth to seventh season (2006-2008). In The Kushite world: Proceedings of the 11th International Conference for Meroitic Studies, edited by Michael Zach, Vienna: Verein der Förderer der Sudanforschung, pp. 415-22.
- Elhaj, M., Csaplovics, E., Abdelkareem, O., Adam, H., Khalifa, A., Ibrahim, K. & Eltahir, M. 2017. ‘Land use land cover changes detection in White Nile State, Sudan using remote sensing and GIS techniques’, International Journal of Environmental Monitoring and Protection 4(3), pp. 14-19.
- Elvin, H. 1997. Theories of Man and Culture, New York & London, Colombia University Press, pp. 65 –57, [Online]: Googl books.com.23/3/2014-5:46.
- El-Tayeb, M. 1999. ‘Rescue excavation at el-Sabeil (Soba West)’, International Conference for Meroitic studies, Berlin, September1992. Wiesbaden: Harrassowitz verleg.
- Fagan, B. 1985. In the Beginning, an Introduction to Archaeology, Sixth edn, pp.60-62.
- Geus, F. & Lenoble, P. 1983. ‘Fouille d Gereif Est pres de Khartoum (ND-36-B/II-Q-4)’, Meroitic News Letter, Bulletin d` informations Meroitiques, p.10.
- Geus, F. 1984. Rescuing Sudan’s ancient culture. French Unit of the Directorate General
- Of Antiquities & National Museums of the Sudan, Khartoum.
- Goldstein, M. & Meghan, G. 2014. Diffusionism and Acculturation, University of Alabama, Department of Anthropology, [Online]: http://anthropology.ua.edu/check/2/.Date15/3/2014.11:54 AM+.
- Haaland, R. & el-Mahi, T. 1984. ‘Continuity and discontinuity: How to account for a two thousand years gap in the cultural history of the



Khartoum Nile Environment’, Norwegian Archaeological Review 17, pp. 39-51.

- Haaland. R. & Haaland. G. 2007. ‘God of war, worldly ruler, and specialists in the Meroitic kingdom of Sudan’, Journal of Social Archaeology 7(3), pp. 372-392.
- Hugill, J. 1996. Diffusion, In Encyclopaedia of Cultural Anthropology, edited by David Levinson & Melvin Ember, pp.344-45. In: Michael Goldstein and Gail King and Meghan Wright. Diffusionism and Acculturation, University of Alabama, Department of Anthropology.
- Humphries, J. & Rehren, T. 2014. Iron production and the Kingdom of Kush: An introduction to UCL Qatar’s research in Sudan. In Ein Forscherleben zwischen den Welten, edited by Lohwasser. A. & Wolf, P. Berlin, Sonderheft MittSAG, pp. 177–90.
- Humphris, J., Alshishani, F., Scheibner, T. and Bussert, R. 2018. ‘The ancient iron mines of Meroe’, Azania 53, pp. 291-311.
- Khabir. A. M. 2006. Archäologie du Nil Moyen, V.ol, 10, pp.35-40.
- Leclant. J. & Clerc, G. 1986. ‘Fouilles et travaux en Egypt et au Soudan(1984-1985)’, Orientalia55(3), pp. 219-36.
- Lenoble. L. 2006. Aux armes, souverains! L’arsenal funéraire des empereurs méroïtiques, Kerma et Méroé. Khartoum: Cinq conférences d’archéologie soudanaise, Khartoum.
- Marshal, K. & Adam, A. 1953. ‘Excavation of a mound Grave at Ushara’, Kush 1, pp. 40-46.
- Obeid, M. Bari, E., Wickens, G. & Williams, M. 1982. The vegetation of the Central Sudan, In A land between two Niles: Quaternary geology and biology of the Central Sudan, edited by Williams, M. & Adamson, D. pp.143-64. Rotterdam: A.A. Balkema
- Pavel, O. 2014 Wad Ben Naga: a history of the site, Sudan & Nubia 18, pp.83-92.
- Sparavigna, A. 2009. Ancient Egyptian Seals and Scarabs, Torino: Polytechnic of Torino.



- Usai, D. & Salvatori, S. 2002. ‘The Is.I.A.O. El-Salha Archaeological Project’, Sudan & Nubia 6, pp. 67-72.
- Usai, D. Salvatori, S. Tina, J. Romain, D. 2014. ‘The Al Khiday Cemetery in Central Sudan and its “Classic/Late Meroitic Period Graves’, Journal of African Archaeology, Vol. 12 (2), pp.183-204.
- Vail, J. 1982. Geology of the central Sudan, in A land between two Niles: Quaternary geology and biology of the Central Sudan, edited by Williams, M. and Adamson, D., Rotterdam: A.A. Balkema, pp. 51-64.
- Welsby, D.1996 The kingdom of Kush: The Napatan and Meroitic Period, British Museum Press, London.